



د. سعيد السيابي

ذاتيهما بين صراع ذوات أخرى، صراع لا يبدو مرثياً لكنه يكسب القارئ إحساساً بأن ثمة حصاراً من الآخرين لهاتين الذاتين المنكسرتين، والمهزومتين.

«جبرين وشاء الهوى» التجربة السردية الأولى التي تدخل فن الرواية، مستفيداً من تجاربه مع الحكاية سابقاً عبر القصص القصيرة، لكنها، وحسب الإهداء، فإنها تشي بكتابتها قبل سنوات سبقت صدور المجموعتين القصصيتين اللتين جاءتها على فترة متقاربة، ٢٠١٥ و٢٠١٦، لكن النزعة السردية الروائية حاضرة لدى المؤلف، وهو ما يعني أن الروائي يسير بموازاة كاتب القصة، إضافة إلى الاشتغالات النقدية المسرحية والتي جاءت واضحة في تجربة كتابته المشترك «الأخر في المسرح العماني».

يرى الدكتور أحمد عبدالملك في تعليقه على الرواية والمنشور في الغلاف الخارجي أن «للأماكن في الأعمال الإبداعية حضوراً ناطقاً لا تستطيع آلاف الكلمات وصفه، ولقد حفلت الرواية بالعديد من مشاهد الأماكن، وفيها تتلاقى التضادات، وتكبر الحكايا، وحولها تولد حياة، وتنتهي حياة، وتتلون الوجوه، وتكثر الأشباح، وتلعب الصدق دورها في تخليق الحكايا، ودمجها بالماورائيات وقصص الجن والأساطير، ذلك أن القصر في تاريخه الحقيقي يحوي قصص ومشاهد الغرام وموائد الحب، وثنائيات الرحمة والحنان وأيضا القسوة والعنف، ودوماً عندما يهجر القصر يتحول مع الأيام إلى حصن».

التي لا تليق دائماً لحراس بسطاء، «سحنتهم السمراء وانكسار أنوفهم تقديراً لإنسانية الزائرين» محدد الراوي رؤيته تجاه شخصيته الرئيسية وهي تفتش عن مخارج لأزماتها، لكن الرؤية الاجتماعية/ الجمعية تحاصرهما فتقولها في صورة نمطية لا تضع خارجها حسابات الحلم والحب والتمرد على الذات المرجفة، رغم أن أحدهم وصفه بأنه حارس شجاع.

يقرر الحارس الخروج عن اعتيادية حياته معلقاً آماله على حب جاءت به امرأة، هي ذاتها شريكته في الرواية والرؤية، الأسوار المحيطة بالذات، وهي تواجه أيضاً مخاطر التشطي الجغرافي والتاريخي، يكافح رغم كل الظروف التي تواجه الشخصيتين، أقدار تقف أمامهما كلما اقتربا من حالة حلم مرتقبة، ظروفه وظروفها، بشكل منفصل، حيث لا تغدو الرغبة واحدة بينهما، مع اشتغال الراوي على أرجوحة الزمن وهي تتقاطع بين حبلين يمسك الرجل والمرأة بهما على نحو مفرد، فلا تتناسق حركة الأرجوحة وهي تعو وتهدئ بأحلامهما، هو ليخرج من حراسة الأسوار والقصر الذي لم يعد إلا حصناً تراثيا خاوياً من حكاياته القديمة، وهي لتدرك حياتها التي ربطتها بمجموعة التباسات اجتماعية بقيت تطاردها، ملامحها ومولد شقيقها وحالة الشقاء السائرة فيها أسرته.

يتبع الحارس حلمه ويسافر إلى زنجبار، هو «الحارس الذي تغير وترجل عن قصره في جبرين»، يدخل أزمته الأخيرة في دورة الحلم، لعله يصل في خاتمة المسار / الرواية / السرد إلى النقطة الحاسمة في معركته التي بدأها باستلهام الحكاية كحارس لبوابة تاريخية، لعل المشاعر الدافئة تعود إلى الحيطان فتنبض بالحب والكبرياء كسابق عهدها.

يعمل د. سعيد السيابي على شاعرية النص ليواري بين الحالة الحلمية للحكاية والمسار الذي اختاره حيث الأبطال يبحثون عن أحلامهم ومحاولين فك الأسوار التي تحيطهم، «صرخت للبحر رفعت يدي للسماء لعلني أبلغ السحاب»، يوائم بين الواقعي والشاعري، بين الصادم والحلمي، يحيل كوايبس الحارس إلى رؤى فلسفية يقولها الراوي المحايد أحياناً، صريحة على لسان بطل السرد، أو موارد يمنحها المؤلف بطله مرة، وبطلته مرات أخرى، كمتنفس نفسي / فلسفي، يقارب تداعي الزمن على الشخصيتين، وهما يلاحقان

سعيد السيابي في روايته الأولى

«جبرين، وشاء الهوى»

تشطي الزمن بين الحارس وامرأة الحلم



عربي عماني، وإفريقي يمتد حتى سواحل زنجبار، يناور في التنقل بين الشخصيتين ليقدمهما في فصول سريعة ضمن مونتاج سينمائي تقليدي لكنه قادر على كسر رتافته بالمشاهد السريعة والمشاعر المتدفقة عبر غواية السرد وهو يمضي به في جمل قصيرة ومتتابعة، تحمل رمزيتها وغموضها، عبر الشخصية أو الحدث، مقتربا مرة من المكان / الحصن / القصر، أو من الحالة الإنسانية التي تعكس التمزق والتردد وقساوة الانتظار لما نتوهمه قريبا منا لكنه يتباعد أكثر فأكثر، «كانت الأسلحة مصوبة نحو السماء، لكن الطيور لم تكن خائفة، ولكني أتساءل: أيجدر بي أن أخاف الدخول إليه؟».

يقود السيابي قارئه إلى أجواء حصن جبرين، برمزيته التاريخية، وهو يعيش حالة حب تبدأ نظراتها الأولى من محيطه الأسر، لكن هذه الرمزية تذهب بعيداً حيث الامتداد المكاني مستمر خارج حدود التاريخ والجغرافيا، فحبيبية الحارس تخرجه من محيطه الضيق الذي يعيشه رغم اتساع الحصن / القصر، لكن البطل / الحارس يعيش انعزاليته التي يريد كسرها من خلال طوق النجاة هذا، الخروج بعيداً عن الأطر التي تعب منها، يبحث عن سماء يخلق فيها، فوق ذاته وانكساراته وعبثية وجوده.

يمارس الحارس على نفسه «فعل الاغتراب القسري» حيث لا يرى في أي زاوٍ للقصر «سوى التلصص السريع، ومعاملتهم

بعد تجارب نقدية في المسرح ومجموعتين قصصيتين، يقدم د. سعيد بن محمد السيابي لقراءه عمله الروائي الأول الذي اختار له عنوان «جبرين وشاء الهوى» ليمضي به في غواية المكان والكتابة، مستعيناً بالتاريخ ليواري من خلاله أسطورة رمز إليها بحارس الحصن / القصر، كاشفاً عن علاقات اجتماعية ملتبسة في هويتها المكانية.

يرى السيابي جبرين بأنها «ليست رواية تنتصر للتاريخ رغم الإبحار في معظم المراجع التي تكلمت عنه، ولا سرداً يتدثر بالحب ويخاطب الحواس، إنما هي رسم لخيال تعلق بمكان» تاركا لقارئه «فضاء السرد والحكم عليه» مقدماً إهداء الرواية إلى ابنه الوليد «في عامه الأول» و«ألف حمد لمن من عليه بالعافية من مرض خطف أحد نوريه في ليلة قمرء ونحن بجواره «مضيفاً» فهل تأذن لنا نحن والديك بأن تكون نورنا بابتسامتك التي لم تفارق محياك وإلى جوارنا في حزننا الذي غسلته ببراءة الأطفال».

الرواية الصادرة من مؤسسة بيت الغشام للصحافة والنشر والترجمة والإعلان تقدم المكان برؤية تتعاطف مع شخصية الحارس، وهو يبحث عن ذاته، انتظاراته لأحلامه التي تمرجه بين فرح وحزن، وكلما يرى أن حلمه بالمرأة التي أسرته يقترب تتباعد الأشياء بعيداً عنه، بموازاة هذه الشخصية هناك المرأة التي يتعلق بها الحارس، ولها معاناتها أيضاً، أزمة الهوية، البحث عن الذات بين عالمين،